المحاضرة الأولى

فقه اللغة : المفهوم، النشأة، الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة

1. **مفهوم العبارة الاصطلاحية (فقه اللغة):**

تتكون العبارة الاصطلاحية لمسمى المقياس (فقه اللغة) من مصطلحين هما: (الفقه) و(اللغة)، ولمعرفة مدار هذا المقياس من هذا العلم يبدو من الضروري تفصيل مفهوم كل مصطلح على حدى لفهم العلاقة الرابطة بينه وبين مفرداته التي سنتوقف عندها في المحاضرات التي تم تخصيصها للولوج إلى هذا العلم الجليل من علوم اللغة العربية.

1-1 تعريف (فقه): لغة: لفظ (الفقه) في المعاجم اللغوية من فقه يفقه فقها: وهو العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة فيه. يقال: فقه الرجل فقاهة إذا صار فقيها، وفقه: أي فهم و فطن وتمكن. ويرى بعض العلماء أن الفقه أخص من العلم.

وردت كلمة(فقه) في القرآن الكريم كما وردت في الحديث أيضا بالمعنى نفسه الذي حملته الكلمة في المعاجم اللغوية؛ أي بمعنى فهم وفطن؛ أي أن المعنى اللغوي للكلمة (فقه) هو **المعنى الاصطلاحي** نفسه للمصطلح (فقه). وقد استعمل المصطلح (الفقه) في تسمية علوم الدين؛ فقيل (فقه الحديث وفقه السنة وفقه العبادات...) لشرف هذه العلوم وانه لا يحيط بها إلا فقيه فهيم فطن.

1-2 تعريف (لغة) : **لغة:** لفظ (اللغة) في المعاجم اللغوية من لغا يلغو لغوا ولغة: إذا تكلم، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن بهذه الصيغة (اللغة)؛ إنما نجد القرآن قد استعمل لفظ (اللغو) وهو بمعنى السقط من الكلام والكلام الذي لا فائدة منه. واستعمل الحديث الشريف لفظ (لغا) وهو يحمل المعنى اللغوي نفسه؛ أي التكلم بمطلق المعنى.

وفي **المعنى الاصطلاحي** نجد أشمل تعريف لمصطلح (اللغة) وتناقله علماء اللغة العربية ما جاء في كتاب (الخصائص) لـ(ابن جني) (ت392 ه) الذي قال: " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"؛ فقد عرف اللغة محددا طبيعتها ومادتها (أصوات)، ثم وظيفتها بعدّها أداة التواصل بين أفراد الجماعة المتكلمة الواحدة (يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)، مع الانتباه إلى كون الاتفاق شرط من شروطها (عن أغراضهم)، وكون التعدد اللغوي لليوم حقيقة معيشة (كل قوم).

باجتماع المصطلحين (فقه) و(اللغة) نجد أن (فقه اللغة) هو العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها؛ أي هو العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وخصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات؛ فيبحث في المفردات من حيث المعنى والأصالة والاشتقاق والنحت والترادف وغيرها، ويبحث في وظيفة اللغة وأصلها ومصادرها، وقضاياها ومشكلاتها وغير ذلك مما يعد من صميم الاهتمام باللغة العربية.

2- نشأة (فقه اللغة:)

أول ذكر لهذا العلم بمسماه (فقه اللغة) كان عند (ابن فارس) (ت 395 ه) الذي عنون كتابه بـ(الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها)؛ وهو الكتاب الذي عالج فيه عددا من المسائل اللغوية التي تعد من صميم البحث في فقه اللغة العربية، وأكمل

جهوده في البحث في هذه القضايا في كتابه (مقاييس اللغة) الذي ناقش فيه موضوعي الأصول والنحت، وهما من صميم أبحاث فقه اللغة. واستخدم بعده (الثعالبي) (ت429ه) المسمى نفسه فأطلق على كتابه عنوان (فقه اللغة وسر العربية) وبالرغم من أنه كان معجما وضعه في الفروق اللغوية للكلمات إلا أنه لا يخرج عن كونه من القضايا التي يهتم بها فقه اللغة فيما يخص علاقة الألفاظ بالألفاظ وعلاقة الألفاظ بالمعاني. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ظهور التسمية في القرن الرابع الهجري لا يعني عدم ظهور الاهتمام باللغة العربية وظواهرها وقضاياها قبل هذا التاريخ؛ بل العكس تماما؛ فقد ظهرت هذه الجهود التي يمكن عدها بدايات تبلور البحث العلمي في فقه اللغة في القرن الثالث الهجري رسائل الأصمعي (ت 215 ه) في (الاشتقاق) أولى هذه الجهود تأصيلا عند المؤرخين لهذا العلم، ثم تلتها جهود (ابن جني) في كتابه (الخصائص) الذي اشتمل على بحوث لغوية في عدد من الظواهر اللغوية للغة العربية، فجهود (ابن سيده) (ت 458 ه) في (المخصص) الذي عالج فيه عددا من قضايا نشأة اللغة العربية وظواهرها اللغوية. وعدت جهود (السيوطي) (ت 911ه) في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) أكثر تكثيفا في البحث في قصايا فقه اللغة؛ حيث بحث فيه في نشأة اللغات وتداخلها وتوافقها، وفي الصحيح من الكلمات العربية وفصيحها ومستعملها ومهملها والمعرب منها والمولد وظواهر الاشتقاق والترادف والمشترك والتضاد فيها وغيرها من الظواهر والقضايا.

وقد كان للمحدثين من اللغويين حظ من التأليف في هذا العلم فحملت كتبهم اسم (فقه اللغة) في عناوينها، من مثل ما كان مع (رمضان عبد التواب) في كتابه (فصول في فقه اللغة العربية)، (علي عبد الواحد وافي) في كتابه (فقه اللغة)، كما كانت هناك كتب لغيرهما كانت في صميم أبحاث فقه اللغة من مثل كتاب (التطور اللغوي وقوانينه) لـ(رمضان عبد التواب)، و(دراسات في اللغة) و(التطور اللغوي التاريخي) لـ(إبراهيم السامرائي)، و(الأصوات اللغوية) و(من أسرار اللغة) و(في اللهجات العربية) لـ(إبراهيم أنيس).

3-فصل بين فقه اللغة وعلم اللغة:

لما كان الفقه لغة هو (العلم) فقد أدى ذلك إلى الحديث عن إمكانية اعتماد التسميتين (فقه اللغة) و(علم اللغة) لهذا العلم من باب الترادف؛ فقد استخدم القدماء من اللغويين العرب المصطلحين معا وكذلك فعل المحدثون كما اتضح في عناوين مؤلفاتهم التي ذكرت في العنوان السابق وكان واضحا في استعمال القدماء على الأقل أن التسميتين (فقه اللغة) و(علم اللغة)يقصد بهما العلم ذاته، فهل هما كذلك اليوم؟.

إن إمكانية إطلاق تسمية (علم اللغة) على (فقه اللغة) إمكانية مرفوضة لسببين رئيسين هما:

- تسمية العلوم تسمية خاضعة لشروط علم المصطلح الذي لا يقبل إلا بتسمية واحدة للمفهوم الواحد؛ فالترادف المقبول لغة بين (الفقه) و(العلم) مرفوض في الاصطلاح لأنه يشترط أن يكون المصطلح الواحد مشيرا إلى مفهوم واحد.
- تسمية (علم اللغة) تسمية موجودة فعلا لعلم حديث linguistique قوبل في اللغة العربية في ترجمات الكتب المشرقية لهذا العلم بـ(علم اللغة) وهو علم يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها علم اللغة؛ وهو بهذا المفهوم يتخذ اللغة موضوعا له، فيدرسها دراسة وصفية بهدف الوصول إلى القوانين العامة التي تجري عليها اللغة موضوع الدراسة، وهو بهذا المفهوم يختلف عن (فقه اللغة) philologie الذي هو علم

دراسة اللغة من المصادر التاريخية الشفوية والمكتوبة، وبذلك تكون تسمية (علم اللغة) لـ(فقه اللغة) تسمية مرفوضة لأنها ستطابق بين علمين مختلفين تماما.

- تسمية (علم اللغة) تسمية اعتمدها اللغويون القدماء مرادفة لتسمية (فقه اللغة) و قلدهم في ذلك المحدثون، وهو استعمال لا يجوز الآن لأنها ستسبب اللبس والخلط بين (علم اللغة) الذي تغير على يد (دوسوسير) الذي اقترح له منهج دراسة مختلف عما كان سائدا قبله.

3-1 - الفرق بين (علم اللغة) و(فقه اللغة) :

(علم اللغة linguistique) و(فقه اللغة philologie) تسميتان مختلفتان لعلمين مختلفين يمكن تفصيل الفرق بينهما فيما يلي:

- **اختلاف في المسمى**: وخاصة اختلاف في المقابل الأجنبي الذي لا يحمل معنى مترادفا كما كان متوهما في اللغة العربية (علم اللغة linguistique) و(فقه اللغة philologie)؛ حيث تأكد التسمية الأجنبية للعلمين أننا مع علمين مختلفين، وأن التطابق توهم في اللغة العربية وترجمتها لا غير؛ فـ(فقه اللغة philologie)، يعنى بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، (علم اللغة linguistique) الذي يعنى بدراسة اللغة في ذاتها وصفا آنيا في مستويات أربع هي المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي من أجل الوصول إلى قواعدها وقوانينها، مستبعدا البحث في تاريخيتها وما له علاقة بما يعرف بخارج اللغة.

- **اختلاف في المنهج:** يعتمد علم اللغة المنهج الوصفي الآني للنصوص اللغوية، بينما يعتمد فقه اللغة المنهج التاريخي التطوري المقار.ن

- **اختلاف في مادة الدراسة:** بالرغم من أن العلمين ينطلقان من اللغة مادة للدراسة إلا أن الدراسة في (علم اللغة) تنصب على النصوص الحية وخاصة الشفوية منها، في حين يهتم (فقه اللغة) بالنصوص المكتوبة والقديمة بشكل خاص بالإضافة إلى المخطوطات والنقوش.

- **اختلاف في هدف الدراسة:** يهدف (علم اللغة) إلى دراسة اللغة من أجل ذاتها أي دراسة النظام اللغوي من أجل الوصول إلى قوانينه؛ فهي عنده وسيلة وغاية في الأن نفسه، بينما يهدف (فقه اللغة) بالإضافة إلى دراسة اللغة بحد ذاتها إلى الوصول إلى معلومات تتعلق بالتاريخ والحضارة والثقافة والعادات والتقاليد وكل ما يمكن استنباطه من النصوص اللغوية، فهي وسيلة لتحقيق غاية معرفة باللغة وتاريخها وأصلها وتمكينها من مكانتها بين اللغات من باب التفاضل بين اللغات ومعرفة الأصل من الفرع منها وغيرها من المعلومات التي لا تخص اللغة المدروسة فقط بل تخرج بها إلى معلومات خارجية عنها؛ أي منطلقها الذي انطلقت منه وطبيعة الشعوب التي تتكلم بها وتاريخ تداولها ونشأتها والوصول إلى حقائق حولها تخرج عن الحقائق التي تخص اللغة إلى حقائق حول تاريخ وجودها نفسه.

- **اختلاف في نشأة العلمين: (**فقه اللغة) أسبق في الظهور من الناحية الزمنية بينما (علم اللغة) بتصوره الحالي علم مستقل عنه منذ أن اعتمد المنهج الوصفي منهجا للدراسة في هذا العلم بداية من القرن الماضي.